رحمكَ اللهُ أبَا السَّائب

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مات عثمان بن مظعون قالت امرأته: هنيئاً لكَ الجنّة يا عثمان، فنظر إليها رسول الله ﷺ، وقال: «وما يدريك؟»، قالت: يا رسول الله، فارسُكَ وصاحبك، فقال صلوات الله عليه: «إني رسول الله، وما أدري ما يُفعل بي» فأشفق الناس علىٰ عثمان، فلما ماتت زينب بنت رسول الله ﷺ، قال الرسول ﷺ: «ألحقوها بسلفنا الخيّر عثمان بن مظعون»، فبكت النساء، فجعل عمر رضي الله عنه يضربهنّ بسوطه، فأخذ رسول الله ﷺ يده وقال: «مهلاً يا عمر»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قبَّلَ عثمان بن مظعون وهو ميّت، وهو يبكي، قال: وعيناه تهرقان[2].

وعن أبي رافع رضي الله عنه، قال: وكان أول من قُبر في مقبرة البقيع عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فوضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأسه، وقال: «هذا قبر فَرَطِنا»[3] وكان إذا مات المهاجر بعده، قيل: يا رسول الله، أين ندفنُه؟ فيقول: «عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون»[4].

وعن المطلب قال: لما مات عثمان بن مظعون أُخرج بجنازته فدُفن، فأمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حَمْله، فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه، قال المطلب: قال الذي يخبرني ذلك رسول الله ﷺ، قال: كأني أنظر إلىٰ بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما، ثم حملها

---

(١) المسند: ١/ ٢٣٧، المستدرك: ٣/ ١٩٠.

(٢) سنن الترمذي: ٣/ ٣١٤، سنن ابن ماجه: ١/ ٤٦٨.

(٣) الفرط: السابق والمتقدّم.

(٤) المستدرك: ٣/ ١٨٩.

فوضعها عند رأسه ، وقال: «أتعلّمُ بها قبر أخي ، وأدفنُ إليه من مات من أهلي»[1].

أجل!

أي رحمةٍ أنت يا رسول الله؟ وأيّ حرصٍ على أصحابك وعلىٰ المؤمنين؟ كيف لا ، والله قد أكرمك بأن اشتقّ لك من أسمائه اسمين ، وهما: الرؤوف ، والرحيم ، فكنت بالمؤمنين كذلك ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة ١٢٨ ـ ١٢٩].

وتلك المواقف الرائعة مع عثمان بن مظعون لم تكن خاصة به ، بل حدث مثلها الكثير ، فصلوات الله وسلامه عليك يا روح الوجود. . يا رسول الله:

وما محمّدُ إلاّ رحمةٌ بُعثت ... للعالمين وفضل الله مبذولُ
هو الشفيع إذا كان المعاد غداً ... واشتدّ للحشر تخويفٌ وتهويلُ
فما علىٰ غيره للناس معتمدٌ ... ولا علىٰ غيره للناس تعويلُ
إن امرءاً شملتهُ من شفاعته ... عنايةٌ لامرؤٌ بالفوز مشمولُ
أعلىٰ المراتب عند الله رتبتُه ... فاعلم فما موضع المحبوب مجهولُ
لقد علمتم ولكن صدّكم حسدٌ ... أنّا بما جاءنا قومٌ مقابيلُ

* * *

(١) سنن أبي داود: رقمه (٣٢٠٦).